البداية والنهاية

للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل
ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي
٧٠١ - ٧٧٤ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

بالتعاون مع
مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية
بدار هجر

الجزء الثاني

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة
☎ ٣٤٥٢٥٧٩ – فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء – ☎ ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة

تم بحمد اللهِ وتوفيقه الجزء الثانى

ويليه الجزء الثالث ، وأوله :

قصة لقمان

فقدوه ، فلا يَدْرون ما فُعِلَ به ، فهم يَبْكُونَ عليه ، فإذا كان يومُ كذا وكذا ، فَأْتي غَيْضَةَ[1] كذا وكذا ، فإنَّك تَلْقِينَ المسيحَ . قال : فَرَجَعَتْ إلى أُخْتِها ، وصَعِدَ جبريلُ ، فأَخْبَرَتْها عن جبريل ، وما قال لها من أَمْرِ الغَيْضَةِ . فلمَّا كان ذلك اليومُ ، ذهبت فوجدَتْ عيسى فى الغَيْضَةِ ، فلمّا رآها أسْرَعَ إليها ، فَأَكَبَّ عليها ، فَقَبَّلَ رَأْسَها ، وجعلَ يدْعُو لها كما كان يفعَلُ ، وقال : يا أُمَّه ، إنَّ القومَ لم يقْتُلونى ، ولكنَّ اللَّهَ رَفَعَنى إليه ، وأَذِنَ لى فى لقائكِ ، والموتُ يأتيك قريبًا ، فاصْبرى واذْكُرِى اللَّهَ . ثُمَّ صَعِدَ عيسى فلم تَلْقَه إلَّا تلك المرَّةَ حتى ماتتْ . قال : وبلغنى أَنَّ مريمَ بَقِيَتْ بعدَ عيسى خَمْسَ سنينَ ، وماتَتْ ولها ثلاثٌ وخمسون سَنَةً ، رضى اللَّهُ عنها وأَرْضَاها .

وقال الحَسَنُ البَصْرِىُّ : كان عُمْرُ عيسى ، عليه السَّلامُ ، يومَ رُفِعَ ، أرْبَعًا وثلاثين سَنةً[2] . وفى الحديثِ : « إنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَدْخُلُونها جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ ، أبناءَ ثلاثٍ وثلاثين سَنَةً »[3] . وفى الحديثِ الآخَرِ : « على ميلادِ عيسى ، وحُسْنِ يوسفَ »[4] ، وكذا قال حمادُ بنُ سَلَمَةَ ، عَنْ علىِّ بنِ زيدٍ ، عن سعيدِ ابنِ المسيَّبِ ، أنَّه قال : رُفِعَ عيسى ، وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً[5] .

فأمَّا الحديثُ الذى رواه الحاكمُ فى « مُسْتَدْرَكِه » ، ويعقوبُ بنُ سُفْيانَ الفَسَوِىُّ فى « تاريخِه »[6] ، عن سعيدِ بنِ أبى مريمَ ، عَنْ نافعِ بنِ يزيدَ ، عن

---

(١) الغيضة : الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف .
(٢) تاريخ دمشق ١٤/٨٢ مخطوط .
(٣) الترمذى (٢٥٤٥) . حسن (صحيح سنن الترمذى ١٩٨٥) .
(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٠/٢٥٦ بنحوه .
(٥) تاريخ دمشق ١٤/٨٨ مخطوط .
(٦) المعرفة والتاريخ للفسوى ٣/٣١٦، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/٨٧ مخطوط ، من طريق الحاكم به .

عُمارَةَ بنِ غَزِيَّةَ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عثمانَ ، أَنَّ أُمَّه فاطمةَ بنتَ الحُسَيْنِ ، حدَّثَتْه أَنَّ عائشةَ كانت تقولُ : أَخْبَرَتْنى فاطمةُ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَهَا أَنَّه « لم يكنْ نبيٌّ كان بعدَه نبيٌّ إلَّا عاشَ الذى بعدَه نصفَ عُمرِ الذى كان قبلَه ، وأنَّه أَخْبَرَنى : أَنَّ عيسى ابنَ مريمَ عاش عشرين ومِائةَ سنةٍ ، فلَا أرانى إلا ذاهبٌ على رأسِ سِتِّين . هذا لفظُ الفَسَوِىِّ ؛ فهو حديثٌ غريبٌ .

قال الحافظُ ابنُ عساكرَ[(١)] : والصَّحيحُ أَنَّ عيسى لم يبلغْ هذا العُمْرَ ، وإنَّما أرادَ به مُدَّةَ مُقامِه فى أُمَّتِهِ ، كما رَوَى سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن عَمْرِو بنِ دينارٍ ، عن يَحْيَى بنِ جَعْدَةَ ، قال : قالت فاطمةُ : قال [١/٢٧٢و] لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ عيسى ابنَ مريمَ مكثَ فى بنى إسرائيلَ أربعينَ سَنَةً . وهذا مُنْقَطِعٌ . وقال جريرٌ ، والثَّوْرِىُّ ، عن الأَعْمَشِ عن إبراهيمَ : مَكَثَ عيسى فى قومِه أربعينَ عامًا[(٢)] . ويُرْوَى عن أميرِ المؤمنين عَلِىٍّ ، أَنَّ عيسى ، عليه السلامُ ، رُفِعَ ليلةَ الثانى والعشرين مِن رمضانَ ، وتلك الليلةُ فى مِثْلِها تُوُفِّىَ علىٌّ بعد طَعْنِهِ بخَمْسَةِ أَيَّامٍ[(٣)] . وقد رَوَى الضَّحَّاكُ ، عن ابنِ عباسٍ أَنَّ عيسى لَمَّا رُفِعَ إلى السماءِ جاءتْه سَحَابَةٌ فَدَنَتْ منه حتى جلسَ عليها ، وجاءتْه مريمُ فودَّعَتْه وَبَكَتْ ، ثم رُفِعَ وهى تنظرُ إليه وأَلْقَى إليها عيسى بُرْدًا له ، وقالَ : هذا عَلَامةُ ما بَيْنِى وبينَكِ يومَ القيامةِ . وأَلْقَى عِمامَتَه إلى[(٤)] شَمْعونَ ، وجعلتْ أُمُّه تُودِّعُه بأُصْبُعِها ، تُشيرُ بها إليه حتى غابَ عنها[(٥)] . وكانت تُحِبُّه حُبًّا شديدًا ؛ لأَنَّه توفَّرَ

---

(١) تاريخ دمشق ١٤/٨٨ مخطوط .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق ١٤/٨٧.
(٤) فى م : « على » .
(٥) تاريخ دمشق ١٤/٨٥ مخطوط .

عليها حُبُّه من جِهَتَي الوالدَيْنِ، إذْ لَا أَبَ له، وكانت لا تُفارِقُه سَفَرًا ولا حَضَرًا. قال بعضُ الشُّعَرَاءِ[1]:

وكنتُ أَرَى كالموتِ من بينِ ساعةٍ ... فكيفَ بِبَيْنٍ كانَ مَوعِدَه الحشْرُ

وذكر إسحاقُ بنُ بِشْرٍ، عن مُجاهِدِ بنِ جَبْرٍ[2]، أَنَّ اليهودَ لَمَّا صَلَبُوا ذلك الرَّجُلَ الذى شُبِّهَ لهم، وهم يَحْسَبونَهُ المسيحَ، وَسَلَّم لهم أَكْثَرُ النَّصارَى؛ بجهلِهِمْ ذلك، تَسَلَّطُوا على أصحابِه بالقَتْلِ والضَّرْبِ والحبْسِ فبلغَ أَمْرُهم إلى صاحبِ الرُّومِ، وهو مَلِكُ دِمَشْقَ فى ذلك الزَّمانِ، فقيل له: إنَّ اليَهُودَ قد تَسَلَّطوا على أَصحابِ رَجُلٍ كان يَذْكُرُ لهم أنَّه رسولُ اللَّهِ، وكان يُحْيِى الموتى، ويُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ، ويفعلُ العجائبَ، فَعَدَوْا عليه فقتلُوهُ، وأهانُوا أَصْحابَه وحبسُوهم. فبعثَ فَجِئَ بهم، وفيهِمْ يحيَى بنُ زكريَّا، وشَمْعُونُ، وجماعةٌ، فسألهم عن أَمْرِ المسيحِ، فأَخْبرُوه عنه فتابَعَهم[3] فى دينِهم، وأَعْلَى كلمتَهم، وظَهَرَ الحقُّ على اليهودِ، وَعَلَتْ كلمةُ النَّصارَى عليهم، وبَعَثَ إلى المصْلوبِ فَوُضِعَ عن جِذْعِه، وجِيءَ بالجِذْعِ الذى صُلِبَ عليه ذلكَ الرَّجلُ، فعظَّمَه، فَمِن ثَمَّ عَظَّمَتِ النَّصارَى الصَّليبَ، ومِن ههنا دَخَلَ دينُ النَّصْرانيَّةِ فى الرُّومِ[4]. وفى هذا نَظَرٌ مِن وجوهٍ؛ أَحَدُها، أنَّ يَحْيَى ابنَ زكريَّا نبيٌّ، لا يُقِرُّ على أَنَّ المصلوبَ عيسى؛ فإنَّه مَعصُومٌ يعلمُ ما وَقَعَ على جِهَةِ الحَقِّ. الثانى، أَنَّ الرُّومَ لم يدخلُوا فى دينِ المسيحِ إلَّا بعدَ ثَلثِمائةِ سنةٍ،

---

(١) هو سلمة بن يزيد الجعفى. شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٣/ ١٠٨٠.

(٢) فى م: «جبير». انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٢٨.

(٣) فى م: «فبايعهم».

(٤) تاريخ دمشق ١٤/ ٨٥ مخطوط.